المجلة العلمية لكلية الآداب مج 10، ع 1 (2021) 141- 163
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

نظريات الثورة: رؤية تحليلية

أ./ سمر السيد أحمد عوض [1] د./ أحمد محمد علي حجازي[2]
[1] طالبة دكتوراة، قسم الاجتماع – كلية الآداب جامعة دمياط، [2] مدرس – قسم الاجتماع كلية الآداب-جامعة دمياط.

المستخلص

عرضت الباحثة فى هذه الدراسة لأهمية النظرية الثورية ودورها فى توجيه الجماهير وتعرضنا للنظرية الماركسية باعتبارها من أهم النماذج النظرية التى تناولت الظاهرة الثورية وطبيعتها بالتحليل والتفسير ومعرفة الأسباب التى تؤدى إلى نشوء الموقف الثورى ودور الدياليكتيك فى تثوير المجتمع باعتباره نموذجاً قائم على التناقضات وأوضحنا كيف أن الطبقة المسيطرة تحارب الجدل والعلم استناداً إلى مصالحها الطبقية وأن التناقض هو سبب تطور المجتمعات، ويشير ماركس إلى أهمية حدوث الوعى لكى تقوم الثورة، "وعى الجماهير بموقفهم وطبيعة الظلم الواقع عليهم من قبل البرجوازية " . وتعرضنا أيضا لقضية التفاوت الاجتماعى والتفاوت الطبقى وأن الطبقة العاملة وفقاً لـ "ماركس" هى حفارة قبر الرأسمالية وهى الطبقة المعول عليها القيام بالثورة الاشتراكية وتحقيق العدالة الاجتماعية والقضاء على الصراع الطبقى .

وعرضنا أيضاً لإسهامات العلماء الذين جاءوا بعد "ماركس" و قاموا بتطوير الماركسية فى ضوء الأحداث الثورية التى مرت بها بلادهم ومحاولتهم دحض المحاولات للتحريفيين، للتشكيك فى صحة الجسم المادى للنظرية الماركسية وقد لعب "لينين" دوراً محورياً فى ثورة أكتوبر 1917 الروسية، وأوضح لنا "لينين" ضرورة بناء تنظيم ثورى ووجود منظمة ثورية من خلال إنشاء الحزب الطليعى ودوره فى تطوير الوعى الطبقى وتثوير المجتمع، وعرضنا من بعده لآراء "تروتسكى" الذى ناهض آراء التحريفيين، تلك التى حاولت استبدال الفاعل الثورى "الطبقة العاملة" بالفلاحين وقد أثبتت أحداث 1949 صحة آرائه واهتمامه بالمشاكل التى تواجه الثوار فى الحركة العمالية وطور نظرية الثورة الدائمة من خلال الأحداث التى مرت بها الثورة الروسية.

الكلمات المفتاحية:
النظريات الثورية، ماركس، النظرية الماركسية.

تاريخ المقالة:
تاريخ اســـــتلام المقالـــة: 6 فبراير 2021
تاريخ استلام النسخة النهائية: 13 فبراير 2021
تاريخ قبـــول المقالـــــة: 3 مارس 2021

1 مقدمة

تحتاج الحركات الثورية للمعرفة العلمية، إذ تساعدها فى إنجاز دورها الثورى فى تغيير مجتمعاتها وتسلحها بالأدوات اللازمة لتوجيه فعلها السياسى والاجتماعى وتحدد لها طبيعة المهام التى يجب أن تقوم بها بحسب طبيعة كل مرحلة على حدة، ويتم ذلك من خلال تحديدها لطبيعة العلاقات الاقتصادية والسياسية بين طبقات المجتمع وهى بذلك تؤسس لعلمى الاستراتيجية والتكتيك الثوريين (كليف، 2011، صفحة 11).

فقد شهد التاريخ الكثير من الحركات الثورية منذ النظام العبودى ولكنها انهزمت جميعها فى معاركها ضد أعدائها؛نظراً لإفتقادها لنظرية ثورية تستطيع أن تضع الخطوط العريضة وترسم الاستراتيجيات، وتفضح المنحرفين وتحلل الصراع الطبقى تحليلاً مادياً وتطرح تنبؤاتها العلمية وتفسيراتها لمجرى الأحداث، وتلهم الثوار وترصد واقعهم وتبنى عليها استنتاجاتها لتشكل وعياً اجتماعياً مستنداً إلى الحراك الاجتماعى ومنطلقاً من الواقع المادى للأحداث .

وفى هذا الصدد يؤكد الماركسيون أن "لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية"، إذ تكمن أهمية النظرية الثورية العلمية فى أنها تمتلك قاعدة متلامسة مع الواقع الاجتماعى، فهى ليست مجرد قوانين لا جدال فى صحتها، ولكنها ليست فى متناول يد الجماهير الذين سيقاتلون بها، والنظرية الثورية النابعة من أرض الواقع بتحليلها العلمى الصحيح له، تحدد وبصورة واضحة أيضاً الهدف والطموح والأسلوب الذى به تنتقل من واقعٍ تسعى لتغييره إلى واقعٍ تطمح إليه، وتمتلك النظرية الثورية صحتها منً خلال تفاعلها مع نتائجً تطبيقها ومعطياته الميدانية التى فرضها الواقع، فعندما نشير للنظرية على أنها دليل عمل فإننا نقصد أنها تضع الخطوط الأساسية للممارسة، والتى تتأثر بتغير المكان والزمان، والعوامل التى بتحليلها الأولى ولدت النظرية، إن التغير فى الواقع مع المسيرة الثورية، يتطلب ديناميكية خاصة لتطبيق النظرية على الواقع المحدد ضمن خطها الأساسى (الزوالي، 2013، صفحة 1) .

والعلاقة بين النظرية الثورية والواقع، تطلب اندماجاً عضوياً بين أصحاب النظرية والحركات الثورية، فليست النظرية الثورية "المادية"، من وحى خيال هذا أو ذاك أو من بنات أفكار من صاغوها ولكنها نتاج تناقضات اجتماعية، ورصد دقيق وواعٍ بكل جزئية من جزئيات الصراع الطبقى وتشابكاته.

ولعل أبرز الموضوعات التى تناولتها النظرية الثورية وركزت عليها بالتدقيق هى التطرق لمعرفة الأسباب التى تؤدى إلى نشوء الموقف الثورى، إذ من خلال تطابق العوامل الذاتية والموضوعية عبر التفاعل

الاجتماعى والسياسى للأحزاب والطبقات وتوافق الضرورة التاريخية مع النشاط الإنسانى الواعى حيث يندمج الواحد بالآخر ويبلغ المنطق الموضوعى للتطور"الصراع الاجتماعى والاقتصادى" نقطة حرجة عندما يؤدى الصراع إلى اضطراب سياسى عام ويفضى إلى أزمة سياسية ويصبح فى نفس الوقت نشاط القوى الثورية الحلقة الحاسمة والأساسية فى سلسلة الأحداث المتعاقبة (كرازين، 1975، صفحة 93).

إنه وبمقتضى هذه الأفكار يكون الموقف الثورى انعكاساً للتناقضات القائمة بين الطبقات؛ أى بين البناء الفوقى السياسى وبين الجماهير الذين يرفضون مواصلة السير على الدرب القديم، وديناميكية هذه التناقضات لايمكن تصورها بدون طبقات اجتماعية وأحزاب وسياسيين يعملون وفق خط اختاروه لسلوكهم، فى هذا الصدد يوضح لنا اتحاد الذوات الفاعلة للعملية التاريخية مع العامل الموضوعى كيفية نضج وتطور الموقف الثوريإذ يشكل العامل الذاتى دوراً هاماً فى تمهيد الطريق لتحول ثوريمادام قطاع من البشرية بدأ يوجه عن وعى التطور الاجتماعى والاقتصادى، بينما يوجد قطاع آخر يتأمل خبرة الاشتراكية الحية، وإن كان يتهيأ أكثر فأكثر للاعتراف بحتمية الانتصار لأكثر صور الحضارات تقدماً، إن النظريات والبرامج الاشتراكية والعمل من أجل تحقيقها فى الواقع بدأت كلها تتداخل وتتلاحم فى مسار التاريخ المعاصر لتصبح عوامل أساسية فى تطوير الظروف الاجتماعية والسياسية تمهيداً للثورة الاجتماعية (كرازين، 1975، صفحة 93).

فالنضال الاجتماعى يربى وعياً تدريجياً مختلفاً عن الوعى السائد، ويبرز حدود الصراع الطبقى بشكل أكبر، وتكتسب العناصر التى تنغمس فى خضم النضال خبرات واسعة، وتبتكر آليات جديدة للنضال، وتسهم بدورها فى تطوير النظرية وإعطائها الديناميكية اللازمة للاستمرار والتجدد (كوهان، 1979، صفحة 80).

هكذا تصدر النظرية الماركسية فى الثورة من نموذج يقوم على فكرة التناقضات،فالمجتمع عند "ماركس" ليس ذلك النظام الذى يؤدى وظائفه بسلاسة، بل إن طابعه الأساسى هو التغيير الدائم،لا من حيث عناصره فقط بل من حيث شكله البنائى نفسه أيضا وفى هذا النموذج تؤدى التناقضات إلى الصراع الطبقى،والطبقات المحكومة أو المستغلة ستغترب وتنمى وعيها الطبقى بحيث تستطيع فى النهاية أن تقوم بعمل تطيح فيه بالطبقة السائدة أو الحاكمة، ويتم ذلك عبر سلسلة من التصورات التى يفترض ماركس حدوثها لتحقيق الثورة، وأولى هذه الافتراضات نمو البرجوازية وهى طبقة ثورية فى ذاتها كما يتضح من تحديثها للمجتمع.

ومع نمو هذه الطبقة ونجاحها فى تحطيم المجتمع الإقطاعى يبدأ فى المجتمع نبض جديد وهو نبض ينبع عن الاتجاهات الدينامية للبرجوازية ومع تقدم البرجوازية خلال تحسين تكنولوجية وسائل الإنتاج وتزايد الاستثمارات تنمو الطبقة العاملة أو البروليتاريا بدورها ومع نمو الجانب الصناعى من المجتمع يزداد استغلال البروليتاريا ويزداد الإنتاج الذى يحدد بناء العلاقات الاجتماعية ويؤدى الوعى ببعض أفراد البروليتاريا إلى تكوين جماعات معارضة للحكم القائم وأخيراً حين تبلغ وسائل الإنتاج أقصى مراحلها المتطورة وتعى البروليتاريا إمكانياتها الثورية تتم الإطاحة بالبرجوازية وهذا ما يتم انجازه خلال مرحلة ديكتاتورية البروليتاريا وتنجح الثورة حين يتم القضاء على هذه الصراعات ويقوم المجتمع اللاطبقى (كوهان، 1979، الصفحات 80-81).

2 إسهامات الماركسية فى الثورة

تتضح طبيعة الثورة وفقاً للماركسية، بأنها ضرورة تقدمية وكيفية نتيجة لتراكم تطورات كميةومن ثم تزيل الثورة النظام القديم وتقتلعه من جذوره كى تقيم نظاماً جديداً وفقاً لحركة وديمومة الجدل وطبقا لصيرورة جدلية لا تنقطع، ولهذا السبب كان الجدل فى الماركسية هو أساس الاشتراكية العلمية كما تعلن البرجوازية حربها ضد الجدل استناداًإلى مصلحتها الطبقية؛لأنه فى جوهره عملية نقدية وثورية حيث يحوى بين طياته نقد البرجوازية كما يتضمن عناصر هدمها الحتمى، فيحارب البرجوازى الجدل من خلال المؤسسات الاجتماعية السائدة تلك التى تبقى انقسام المجتمع إلى طبقات كما هو قائم اليوم، وتحافظ عليه وتديمه، تقطع الطريق إلى الملكية الرأسمالية أمام العمال، سواء من جهة مداخيلهم أو من جهة نمط التعليم الذى تمنحهم إياه، وهكذا نجد عبر التاريخ تفاوتاً اجتماعياً تبلور فى تفاوت طبقى، ففى كل مجتمع نجد طبقة من المنتجين تُعيل بعملها المجتمع بأسره وطبقة مسيطرة تعيش من عمل الغير، ولكن المدقق فى عصور ما قبل التاريخ يجد أن البشرية جهلت التفاوت الطبقى طوال القسم الأعظم من وجودها ما قبل التاريخى فالمشاعات البدائية لم تكن تنقسم بعد إلى طبقات (ماندل، 1974، صفحة 7).

وعطفاً على ما سبق، فقد جاءت رؤى الفلسفة الماركسية فى الثورة بتصورات مناهضة تماماً لما سبقها من تصورات برجوازية لم تكن يوماً فى صفوف الأغلبية العاملة ولم تستهدف أبداًإعادة تشكيل العالم لصالحهم، ومن هذا المنطلق جاءت الماركسية لتعبر عن مصالح الطبقة الأكثر تقدماً_أى البروليتاريا_ كل الشعب العامل، ولم يكن ماركس وأنجلز مؤسسى فلسفة جديدة فحسب، بل كانا كذلك قائدين لحركة البروليتاريا الثورية النامية أيضاً وقد أوضحا أن الطريق الوحيد للتحرر هو طريق

الثورة الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا وقضية تحرير الشعب العامل من الاستقلال وانتصار الاشتراكية (سييف، 1975، صفحة 37).

ورغم أن "تاكر" يرى أن الماركسية، من حيث هى صورة من صور المذاهب الاشتراكية لا تنفصل عن فكرة الثورة فإن الكشف عن نظرية الثورة فى الماركسية لايتسنىإلا عن طريق التحليل الدقيق لعدد من الأعمال وقد وضع "ماركس" تخطيطاً لنظريته عن الثورة فى أماكن متعددة من أعماله وأهم هذه "بيان الحزب الشيوعى" الذى يجب أن يقرأه بعناية كل دارس لقضية الثورة وبعدها فى تقديمه لكتابه "نقد الاقتصاد السياسى" وضع "ماركس" تخطيطاً شديد الاختصار للعملية التى تتم خلالها التغيرات فى المجتمع وهذا يحدد لنا المشكلة الأولى فى دراسة نظرية "ماركس" فى الثورة فعلينا أن نوالى البحث والتنقيب فىأعماله كى نحدد لماذا وكيف ومتى تحدث الثورة (كوهان، 1979، صفحة 65)؟

وللوقوف على ذلك فقد حدد النموذج الماركسى عاملاً رئيسياً واحداً للثورة وهو (التنظيمات البنائية الخاصة فى المجتمع)، فالبناء الاقتصادى يسبب نمو علاقات اجتماعية معينة، عن هذه الأسباب تنبع تنظيمات طبقية خاصة وفى كل مجتمع ثمة طبقتان رئيسيتين: طبقة حاكمة مستغِلة وطبقة محكومة مستغَلة وأفراد هذه الطبقة الأخيرة يغتربون عن واقعهم، وهم يشكلون أخيراً جماعة ضخمة يجمعهم معاً الوعى الطبقى المشترك فى الشعور بأنهم فى موقف واحد مشترك وإذا ارتقى وعى الطبقة المستغلة بما يكفى بحيث أصبحت طبقة واعية بذاتها ولذاتها أطاحت بالطبقة الحاكمة ودمرت آلاتها وحلت محلها (كوهان، 1979، صفحة 67).

وبالنسبة لـ "ماركس" فإن الطبقة العاملة هى الطبقة الوحيدة القادرة على قيادة الثورة الاجتماعية وتحطيم آلة الدولة القديمة، ومؤسساتها وإحلال آلتها الجديدة محلها، بوصفها الطبقة الأكثر تنظيماً من خلال كون رأس المال قد ساعد فى تمركزها فى المصانع بالآلاف، وأحياناً بعشرات الآلاف، إضافة إلى أنها ليس لديها ما تخسره "سوى قيودها" التى طوقتها بها الرأسمالية.

وحين نتناول التراث الماركسى فى دراسة الثورات، فإن ثمة موقفاً ذا شقين من القبول الكامل أو الرفض العنيف يلقي ظلاله علىأى صورة يرسمها الدارس لـ "ماركس" ونظريته فى المجتمع، إلا أننا هنا بوسعنا النظر إلى"ماركس" من حيث هو عالم اجتماعى من أجل أن نؤكد جدوى التحليل الذى يقدمه لدراسة الثورة، وهذا يقتضى منا خطوتين:الأولى فهم نموذج ماركس فى التغير الثورى وهذه الخطوة تؤدىإلى التالية وهى فحص واختبار نظريته فى الثورة وفى هبة البروليتاريا وانتصارها الحتمى (كرازين، 1975، صفحة 8).

ويقرر "ماركس" فى ما يتعلق بتوقيت الثورة بأنها لم يكن أن تحدث مالم تتوفر لها كل الشروط الخاصة التى حددها؛ فتوفر تلك الشروط هو ما يمكن أن يفجر الثورة لأن توفرها يؤدى بالناس إلى الوعى بموقفهم وإلى اليقين بأن العمل المشترك وحده هو ما يمكن أن يغير هذا الموقف،أو كما ذكر "ماركس" فى موضع آخر أن المجتمع عليه أن يخلق أولاً نقطة انطلاقه الثورى؛ الموقف والعلاقات والشروط التى يمكن فى وجودها فقط أن تصبح الثورة الحديثة أمراً جدياً، فهو يقرر فى ضوء ذلك"أن ليس هناك نظام اجتماعى يفنى قبل أن تتطور كل قوى الإنتاج التى تجد لنفسها مكاناً فيه ولا يمكن أن تظهر علاقات انتاج جديدة وأكثر رقياً قبل أن تنضج الشروط المادية الضرورية لوجودها فى رحم المجتمع القديم نفسه" (كوهان، 1979، صفحة 71).

مجمل القول إن الأساس فى التحليل الماركسى، هو انقسام المجتمع إلى طبقات إذ يقرر "افينرى" فى هذا المقام "إن التمايز الطبقى يصبح عند "ماركس" العامل الحاسم فى تشكيل الكيان السياسى وفى التحليل الماركسى تعكس الطبقة الملكية، وعلى هذا النحو ترتبط الدولة والملكية إحداهما بالأخرى،فالدولة عند "ماركس" تعكس علاقات الملكية والتمايز الطبقى بالتالى، والدولة هىأداة الطبقة الحاكمة للاستغلال والتحكم وهى بالتالى أداة العنف والسيطرة المتاحة للطبقة الحاكمة فقط " (كوهان، 1979، صفحة 70).

حيث افترض "ماركس" أنه بالقدر الذى تتطور به البرجوازية أو رأس المال تتطور به أيضاً البروليتاريا وقد نمت البروليتاريا كطبقة عاملة حديثة، طبقة من العمال تعيش فقط كلما وجدت العمل، وهى تجد العمل فقط ما دام يؤدى إلى زيادة رأس المال وفى مكان آخر كتب "ماركس" " إن نمو البروليتاريا مشروطاً على وجه العموم بتطور البرجوازية الصناعية، ففى ظل قانونها فقط تكتسب البروليتاريا وجودها القومى الشامل الذى يمكن أن يرفع ثورتها إلى المستوى القومى وتخلق بذاتها وسائل انعتاقها الثورى وتسوى الأرض التى يمكن عليها وحدها قيام ثورة البروليتاريا" (كوهان، 1979، صفحة 73).

كما تناول "ماركس" قضية التفاوت الاجتماعى والتفاوت الطبقى وأكد أنه لا يعد كل تفاوت اجتماعى بتفاوت طبقى، فالفرق بين أجر عامل غير متخصص وأجر عامل ذى اختصاص عال لا يجعل منهما عضوى طبقتين اجتماعيتين مختلفتين، فالتفاوت الاجتماعى يمتد جذوره فى بنية الحياة الاقتصادية وتحافظ عليه المؤسسات الاجتماعية والقانونية الرئيسية وتزيد من حدته، فتاريخ المجتمعات ليس سوى تاريخ الصراعات الطبقية (ماركس و أنجلز، 1848، صفحة 4).

إن انقسام المجتمع إلى طبقتين مُستثمِرة ومُستثمَرة كان النتيجة الحتمية لضعف تطور قوى الإنتاج فى الماضى وإلى جانب هذه الأغلبية الكبرى المنصرفة بوجه الحصر إلى العمل القسرى تتكون طبقة معفاة من العمل المنتج مباشرة ومكلفة بشئون المجتمع الإدارية (إدارة العمل والشئون السياسية)، لذا كان قانون تقسيم العمل هو الذى يكمن فىأساس انقسام المجتمع إلى طبقات: الأمر الذى لا يمنع الطبقة المسيطرة بعد أن تستولى على السلطة عن توطيد وضعها على حساب الطبقات الكادحة وعن تحويل قيادة المجتمع إلى استثمار للجماهير بصورة مشددة (ماركس و أنجلز، المختارات، د. ت.، صفحة 117).

إن تناقضات الرأسمالية ستفضى حتماً إلى ثورة بروليتارية، ومن ناحية أخرى عهدت بتحقيق ذلك إلى الدور الذى يلعبه الوعى الطبقى واعتبرته الدور الأساسوالعمل السياسى والنظرة العلمية (كرازين، 1975، صفحة 83)، وأكد "ماركس" فى هذا الصدد على أهمية الوعى الطبقى كعامل محورى يؤدى للاحتجاج، فيشير إلى أن المستغلين لن يكون لهم دور سياسى خاص فى المجتمع حتى يعى الأفراد بالاستغلال الواقع عليهم، وحسب النظرية الماركسية، فإن العمال يكونون فى بدء مرحلة سيطرة البرجوازية كتلة غير متماسكة متناثرة فى جميع أنحاء العالم يضعفهم تنافسهم المتبادل وحين يبدأ العمال خوض المعارك من أجل المطالبة بشروط معيشية أفضل فهم لا يحققون أرباحاً لأنفسهم، بل يؤكدون سلطة البرجوازية التما زالت تحطم بقايا المرحلة السابقة، ومع نمو الطبقة العاملة أو البروليتاريا واكتسابها مقدمات الوعى يمكن أن نحدد بدايات الثورة القادمة وقد رأى "ماركس" فى البروليتاريا وسيلة استبعاد الصراع فى المجتمع الذى عرفه الإنسان دائماً، فهىأخر طبقة مستغلة ستزداد اغتراباً كلما تقدمت البرجوازية من مرحلة لأخرى، فالاغتراب هنا خطوة أساسية ومهمة فى طريق الثورة (كوهان، 1979، صفحة 73).

من هذا المنطلق يمكن القول إن الطبقة العاملة تقوم بدورين داخل النظام الرأسمالى،فمن ناحية هى معول بناء للرأسمالية، ولكنها دائماً فى حالة دفاع عن مكتسباتها، والتى تنقض عليها الرأسمالية دائماً، خاصة فى فترات الأزمة الاقتصادية، فتعمل الطبقة العاملة على مواجهة هجوم الرأسمالية وتجد نفسها تاريخياً مدعوة للنضال ضدها بل وهدمها، ويتحقق هذا بقدر ما تكتسب الطبقة من وعى وتنظيم.

فالاغتراب فى الماركسية إذن هو تلك العملية التى يجد أفراد الطبقة العاملة أنفسهم فيها ليسوا سوى سلع فى التخطيط العام للإنتاج، ويستمر هذا البؤس فى ازدياد كلما تطورت التكنولوجيا فى المجتمع الرأسمالى أكثر وأكثر، ومع تزايد حدة الإحساس بافتقاد الإنسانية والوظيفة أو الدور يبدأ فى النظر

حوله فيجد أن غيره من العمال فى نفس الموقف، على حين أن جماعات أخرى وهى البرجوازية تزداد ثراءً كلما ازداد العمال فقرا وعند هذه النقطة يبدأ الملمح الثانى من ملامح الماركسية فى الظهور وهو الوعى الطبقى (كوهان، 1979، الصفحات 75-76).

ومن بين جميع الطبقات التى تقف وجهاً لوجه ضد البرجوازية اليوم فإن البروليتاريا وحدها هى الطبقة الثورية الحقيقية وقد كتب "ماركس" "بمجرد أن تهب الطبقة التى تتركز فيها المصالح الثورية للمجتمع فتجد مضمون نشاطها الثورى ووسائلها موجودة مباشرة فى الموقف نفسه أعداء يجب القضاء عليهم وأهدافاً تمليها احتياطات النضال يجب الاستيلاء عليها (كوهان، 1979، صفحة 78).

وعطفاً على ذلك فإننا بحاجة إلى تجاوز الفواصل الطبقية، ويفترض إلغاء الطبقات،إذن تطور الإنتاج قد بلغ درجة لا يغدو معها استملاك طبقة من الطبقات الاجتماعية لوسائل الإنتاج والمنتجات وبالتالى للسيطرة السياسية واحتكار الثقافة،فما إن يتملك المجتمع وسائل الإنتاج حتى يزول الإنتاج البضاعى وتزول معه سيطرة المنتوج على المنتجين ويزول النضال فى سبيل البقاء الفردى ويستبدل الإنسان شروط معيشتهُ الحيوانية بأخرى إنسانية (ماركس و أنجلز، المختارات، د. ت.، صفحة 121).

1.2 الدياليكتيك المادى

تأتى كلمة ديالكتيك من Dialogالإغريقية، المجادلة، المناقشة وفى العصور القديمة كان الديالكتيك فن التوصل إلى الحقيقة عن طريق كشف التناقضات فى مجادلة الغريم، ويقوم الديالكتيك المادى كمنهج للتفسير والتحليل بالكشف عن القوانين التى تحكم عملية فهم ودراسة الواقع الخارجى ككل،فجميع الظواهر والقضايا والمشكلات والحياة الاجتماعية بصورة عامة وطبيعة الوعى بهذا الواقع أو الوجود المادى، تتطور علىأساس مجموعة من قوانين الجدل الرئيسية (عبدالرحمن، 2006، صفحة 386).

ولا تعد الجدلية الماركسية منهجاً للمعرفة فحسب، بل كذلك أداه لإعادة صنع العالم ثورياً ولها أهمية هائلة للنشاط العملى للطبقة العاملة وحزبها الماركسأن النقد والثورية هما أساسها وهى لا تعترف بشىء علىأنه ثابت وأبدى وخالد وإنما تعترف فحسب بلا نهائية التقدم وبالحركة الأبدية الوطيدة إلى الأمام (سبيف، 1975، صفحة 84).

ويستند الديالكتيك المادى على مبدأ الحركة الشاملة(كل شىء يتغير كل شىء فى حركة دائمة)،لقد انتقلت البشرية من المجتمع البدائى غير الطبقى إلى المجتمع المنقسم إلى طبقات، الذى سيكون بدوره منطلقا للمجتمع الاشتراكى اللاّطبقى اللاّحق، إن أنماط الإنتاج تتعاقب، وحتى قبل

أن تزول تخضع لتبدلات متواصلة (ماندل، 1974، الصفحات 84-86). ويقول "لينين" : "إن الديالكتيك بمعناه الاعتيادى هو دراسة التناقضات فى جوهر الأشياء بالذات" وأكثر من ذلك: أن التطور هو صراع الأضداد" (لينين، 1978، صفحة 263).

فيعتمد الدياليكتيك دراسة الظواهر الاجتماعية والسياسية بشكل مترابط، فكل حدث هو عبارة عن حلقة مرتبطة بما قبلها وبما بعدها فى علاقة تفاعلية، ومن هنا اعتبر الديالكتيك نقلة كبيرة على المادية الميكانيكية ورفض دراسة الأشياء منفصلة، وجعل منها وحدة واحدة، ليس فقط فيما يخص العلم الاجتماعى، ولكن أيضاً فيما يخص العلم الطبيعى، بالانقلاب على النظريات القديمة القائلة بسرمدية الكون.

ويفترض الأسلوب الديالكتيكى أن الصراع الطبقى - وهو محصلة وجود طبقات اجتماعية متضادة داخل المجتمع- بتوجيه حركة تاريخ المجتمعات المنقسمة إلى طبقات،ويمكننا أن نقول ونحن نشمل فى الوقت ذاته المجتمع البدائى غير الطبقىوالمجتمع المنقسم إلى طبقات والمجتمع الاشتراكى القادم، أن التناقض بين المستوى الذى بلغه فى بعض العهود تطور قوى الإنتاج (درجة تحكم الإنسان بالطبيعة)، وعلاقات الإنتاج (التنظيم الاجتماعى) المنبثقة فى التحليل الأخير من مستويات تطور سابقة لقوى الإنتاج ذاتها، إنما يوجه كل التطور البشرى (ماندل، 1974، صفحة 87).

وعليه يمكن إحلال المجتمع الاشتراكى محل المجتمع الرأسمالى، بالضبط كما كان بالإمكان فى عهد النظام الإقطاعىإحلال النظام الرأسمالى محل النظام الإقطاعى وعليه يجب ألا نوجه اتجاهاتنا على طبقات المجتمع التى لم تعد تتطور، رغم أنها تشكل فى الحال الحاضر القوة السائدة، بل إلى الطبقات التى تتطور ولها المستقبل أمامها، حتى لو لم تكن فى الحال الحاضر تشكل القوة السائدةهذاهوالأسلوب الديالكتيكى الماركسى لدى تطبيقه على الحياة الاجتماعية، على تاريخ المجتمع وقد تعلم منه الماركسيون الحتمية والحركة والتغير والتأثير المتبادل واستفادوا منها استفادة قصوى فى تطوير الواقع وهم فى هذا يتفوقون على الكثيرين من الحركات غير العلمية (سيف_الدولة، 1979، صفحة 85).

ويعتبر الديالكتيك المادىأن الأسباب الخارجية هى شرط التبدل والأسباب الباطنية هىأساس التبدل، وأن الأسباب الخارجية إنما تفعل فعلها عن طريق الأسباب الباطنية وهذا التناقض الباطنى موجود فى كل الأشياء وهو الذى يبعث فيها الحركة والتطور بمعنىأن التناقضات الكامنة فى باطن الأشياء هى العلة الأساسية فى تطورها وبذلك يبرر الماركسى حركة المجتمعات واندلاع الثورات بأنها تغيرات كيفية تحدث على سبيل الطفرة

لا التدرج أو التغير الكمى البسيط حيث لا تتحول الأشياء عند الماركسى على سبيل التحول التدريجى بل عن طريق التغير الكيفى والتطور الفجائى السريع،ولذلك كان التغير عند الماركسى هو كيفى حيث تصبح للأشياء خصائص أخرى تتمايز كلية عن خصائصها فى حالها الأول قبل أن تصير أو تتحول إلى شكلها النهائي (اسماعيل، 1980، الصفحات 185-186).

إن الديالكتيك ليس مجرد أداة لإثبات الحقائق الجاهزة بل هو مرشد للبحث فى الظواهر والعمليات الحقيقية هو طريقة معرفة الحقيقة،الموضوعية.

إن الديالكتيك هنا هو نظرية أو أداة للمعرفة لدى البروليتاريا فالمعرفة سلاح لفهم (لاحق) لجذور المسألة الاجتماعية ووسائل حلها، وتنبثق المعرفة إذا من الممارسة الاجتماعية لدى الإنسان، ووظيفتها تحسين هذه الممارسة، وتقاس فعاليتها فى التحليل الأخير بنتائجها العملية، بيد أن الوقائع تنتهى فى خاتمة المطاف بإثبات أى نظرية كانت علمية حقاً، أى قادرة على فهم الواقع بكل تناقضاته، وكل حركته الإجمالية وأى الفرضيات كانت خاطئة، أى قادرة على أن تفهم فقط أجزاءً من الواقع، عبر عزلها عن الكلية المبنية، وبالتالى عاجزة عن فهم الحركة على المدى الطويل بالديالكتيك الأساسى، إن انتصار الثورة الاشتراكية العالمية، وبلوغ مجتمع لا طبقى، سوف يثبتان عملياً صحة النظرية الماركسية الثورية (ماندل، 1974، صفحة 83).

2.2 المادية التاريخية

المادية هى النظرية (الطبيعية) لطبقة منتجة تصارع من أجل تحررها، وفى ضوء ذلك تعتبر مادية "ماركس" الفلسفية أن العالم بذات طبيعته مادة وأن الظواهر المتعددة الأوجه للعالم تؤلف أشكالاً مختلفة لحركة المادة وأن الترابط المتبادل والاعتماد المتبادل للظواهر الذى يحققه الأسلوب الديالكتيكى هو قانون تطور المادة المتحركة، وإن العالم يتطور وفقاً لقوانين حركة المادة بلا حاجة إلى "روح كونية" ويقول "أنجلز" إن النظرية المادية العالمية هى ببساطة إدراك الطبيعة كما هى، بدون أى تحفظ" (فويرباخ) (مولينو، 1995، صفحة 38).

وتتخذ هذه المادية من التفسير المادى للتاريخ منطلقاً لها، وترى بأن التناقض هو سبب التطور، وأن الصراع بين المصالح المختلفة،والمتعارضة أحياناً داخل النسق السوسيولوجى ضرورة لازمة للتغيير الاجتماعى، ويعتبر ماركس أن الصراع الطبقى هو الموضوع الرئيسى للتاريخ ولايمكن أنينتهى إلا بالثورة،وأن القوى الإنتاجية فى المجتمع تدخل فى مرحلة من تطورها فى صراع مع علاقات الملكية،ومع الإطار الاجتماعى والسياسى القائم،وعندما تصبح معوقة للإنتاج تحدث أزمة وتبدأ حقبة من الثورات

الاجتماعية،ولا تستطيع الطبقات الحاكمة،ولا تريد الطبقات المستغلة أن تعيشا معاً فى ظل الشروط القائمة،وهذا التناقض بين الطبقات هو الذى يفضى إلى ثورة عنيفة .

وتشكل علاقات الإنتاج وفقاً للمادية التاريخية الأساس بالنسبة للمجتمعات التى تقوم عليه البنية الفوقية ويشكل المجموع الكلى لهذه العلاقات الهيكل الاقتصادى للمجتمع والذى يتوافق مع أشكال معينة من الوعى الاجتماعى، ويحدد نمط الإنتاج فى الحياة المادية الطابع العام للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية للحياة (Olssen, 2004).

وبذلك تقدم المادية التاريخية تفسيراً علمياً، مادياًوجدلياً لظاهرة الحياة الاجتماعية وهى تتناول بالبحث مثل هذه المشكلات العامة للتطور التاريخى كالعلاقة بين الوجود والوعى الاجتماعى، أهمية الإنتاج المادى فى حياة الناس وأصل ودور الأفكار الاجتماعية والمؤسسات المتصلة بها وتساعدنا المادية التاريخية فى فهم دور الشعب والأفراد فى التاريخ، وكيف نشأت الطبقات وكيف ظهر الصراع الطبقى وكيف ظهرت الدولة ولماذا تحدث الثورات الاجتماعية وأهميتها بالنسبة للعملية التاريخية وعدد آخر من المشكلات العامة للتطور الاجتماعى، وصاغت المادية التاريخية أيضا المقولات والمفاهيم التى تعكس أكثر جوانب التطور الاجتماعى عمومية وجوهرية،وهى تشتمل على الوجود الاجتماعى – الوعى الاجتماعى – أسلوب الإنتاج – البناء التحتى – البناء الفوقى ومجموع هذه المقولات هى التى تعطى لنا صورة متجانسة عن التطور الاجتماعى (سييف، 1975، الصفحات 174-175).

3 إسهامات العلماء فى تطور الماركسية كنموذج ثورى

إن تحديد جدوى النموذج الماركسى يمكن اختباره بتحليل النظريات اللينينية والماوية فى الثورة المشتقة من النموذج الذى قدمه "ماركس" وثمة نظريات جزئية أخرى تم اختبارها يجب أن تشمل منهج "روزا لوكسمبرغ" والمناهج الأكثر حداثة التى طورها "ماركوز"،هنا يصبح النموذج الماركسى أكثر مرونة وطواعية نظرا لتنوع القضايا التى يمكن استخدامها لتحليل الثورة.

ويعد "لينين" أول ماركسى يدرك أهمية حركات التحرر الوطنى فى العالم الثالث،فقد أوضح فى تحليله للامبريالية "الاستعباد الكولونيالى والمالى للغالبية الواسعة من سكان العالم بواسطة أقلية محدودة من أغنى البلاد الرأسمالية وأكثرها تقدماً،كما أظهر أن هذا الاستعمار سيثير حتماً موجة من ثورات وحروب التحرير،إن ما تصوره "لينين" كان تحالفاً عالمياً بين الثورة البروليتارية فى الغرب وحركات التحرر الوطنى فى الشرق (مولينو، 1995، صفحة 96).

لقد أزاح "لينين" الثورة الماركسية كإمكانية تتحقق فقط فى المجتمعات الرأسمالية المتطورة ونقلها إلى نطاق الإمكانية الواقعية فنأى بلد يقوم بها موقف ثورى وحزب ثورى يمكنه أن يقود المجتمع على طريق الاشتراكية (كوهان، 1979، صفحة 108).

1.3 المرحلة اللينينية

لم تقف حدود الماركسية عند "ماركس" بل دخلت مرحلة التطبيق فأصبحت عندئذ ماركسية لينينية، إذ فتح لينين باب الاجتهاد فى الماركسية عندما قال إننا لا نعتبر الماركسية شيئاً كاملاً لايمكن المساس به ،إننا مقتنعون بأنها أرست حجر الزاوية للعلم فقط وأنه يجب على الاشتراكيين أن يتقدموا فى كل الاتجاهات إذا أرادوا أن يحفظوا للحياة تقدمها وقد حفظ كثير من الماركسيين هذه الوصية فتقدموا فعلاً فى كل الاتجاهات ومن بينها الاتجاهات الفكرية وكسبت الماركسية من الممارسة ذلك الثراء والتعدد فى الأفكار والنظريات، ولم يكن لينين مجرد ماركسى يصنع الثورة بل كان فيلسوفاً منظراً للثورة وقائداً لها، وقد بدأ مسيرته الثورية بإبداع فكرى أصيل برر به الثورة الاشتراكية فى مجتمع متخلف لا تتوافر فيه الظروف الموضوعية للثورة، وجاءت اللينينية وتضمنت مجموعة متميزة من النظريات أو الآراء فى الدولة وفى الثورة وفى الديكتاتورية والاشتراكية ....إلخ أبدعها "لينين" خلال الممارسة الثورية ونذكر أنه لمدة ثلاثين عاماً تقريبا كانت الماركسية تُقدم إلى الناس مصوغة بقلم "ستالين" وكان اسمها حينئذ الماركسية اللينينية – الستالينية لتتميز عن اجتهادات الماركسى "تروتسكى" التى أُطلق عليها التروتسكية (سيف_الدولة، 1979، الصفحات 7-10).

وقد لعب "لينين" دوراً محورياً فى ثورة أكتوبر 1917 الروسية، وكان المحور المركزى لحياة "لينين" هو ضرورة بناء التنظيم الثورى وضرورة وجود منظمة ثورية مركزية تستطيع التعامل مع التهديدات الأمنية (فكرة الحزب الطليعى)، فلم يكن "ماركس" واضحاً حول تبيان كيفية تطوير الوعى الطبقى والثورى فرأى ضرورة وجود الحزب الشيوعى باعتباره الناطق باسم العمال وكذلك الممثل لمصالحهم،وطالب "لينين" بتعليم العمال تعليما سياسيا يتجاوز مجرد تحديد أنواع المشاكل والتناقضات القائمة فى المجتمع،مثل هذا التعليم يتكون من التحريض والإعداد للنضال ضد السلطات (كوهان، 1979، صفحة 103).

وتشمل المرحلة اللينينية فى تطور الفلسفة الفترة من نهاية القرن التاسع عشر حتى الوقت الراهن، حيث بدأت الثورة الاشتراكية تنضج وكانت روسيا هى مهد اللينينية،واللينينية هى الماركسية فى العصر الجديد عصر الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية وبناء المجتمع الشيوعى؛ إذ

أسهم "لينين" إسهاماً كبيرًا فيإثراء الفلسفة بالدفاع عن المادية الجدلية والتاريخية وتطويرها فى الظروف التاريخية الجديدة وارتبط عمله النظرى ارتباطاً مباشراً بصراع البروليتاريا الثورى وبناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى (سييف، 1975، الصفحات 40-41).

وأسهم "لينين"إسهاماً كبيراً فى تطوير قضايا الجدلية ودافع عن المذهب الماركسى لقوانين ومقولات المادية الجدلية وطورها فى صراعه ضد كل ألوان الميتافيزيقية وأولى عناية خاصة لجوهر الجدل – قانون وحدة وصراع الأضداد وطور "لينين" نظرية المادية الجدلية وقام بتحليل عميق شامل لأزمة العلم الطبيعى التى ظهرت فى نهاية القرن وسببتها أحدث الاكتشافات العلمية وأوضح أن المادية الجدلية هى وحدها التى تستطيع حل هذه الأزمة وحارب بلا هوادة الأيديولوجية البرجوازية المراجعة والجمود العقائدى وكشف السمات الأساسية للمراجعة والجمود العقائدى وأشار إلى اتجاهات تطورها وبذلك سلح الماركسيين فى صراعهم ضد المراجعين والعقائديين (سييف، 1975، صفحة 41).

وارتكزت نظرية "لينين" على إضافة عدة قضايا إلى النظرية الماركسية والتجنب الحذر لعدة قضايا أخرى وأساس ما قاله "لينين"أنه فى مجتمع لم تتطور فيه الرأسمالية تطورا كاملا لكن فيه طبقة عاملة نامية يمكن أن تقوم ثورة تقودها البروليتاريا إذا تحققت عدة شروط، على البروليتاريا أن تبحث عن حلفائها من أجل الثورة وفى حالة روسيا فإن الفلاحين يمكن أن يكونوا الحليف المحتمل، إن البروليتاريا أميل إلىأن تطور اتجاهاتها النقابية التى تؤدىإلى المطالبة بالإصلاح والمكاسب الاقتصادية لا إلى الثورة،وليس من المحتمل أن تتطور لحالة من الوعى الثورى لحالها وهكذا فمن أجل التنسيق بين مختلف العناصر، يجب قيام حزب طليعى يقدم الوعى الثورى للجماهير الثورية بالإمكان وينسق بين مختلف العناصر حتى بعد الاطاحة بالنظام القديم وبذلك يمكن تحقيق التطور الإشتراكى، (كوهان، 1979، صفحة 95) والأهم أن "لينين" رفع نظرية وممارسة الثورة البروليتاريةإلى مرحلة جديدة تماماً خلال قيادة البروليتاريا فىافتكاك السلطة السياسية وتعزيزها لأول مرة فى التاريخ بانتصار ثورة أكتوبر فى روسيا القيصرية عام 1917 (الشماوى، 2011).

وفى التعامل مع قضية الدولة جادل "لينين" بأن المجتمع المنقسم إلى طبقات تكون فيه الدولة جهازاً لقمع طبقة معينة عن طريق طبقة أخرى " فهى تضم جسماً متكاملاً للمؤسسات القمعية التى تعمل على منع المواطنين من تحدىأصحاب الأملاك القائمين وأشكال الاستغلال القائمة وأن ما يميز الثوريين عن الإصلاحيين أنهم يؤمنون بضرورة تحطيم آلة الدولة ، أخيرا جادل لينين بأن المجتمع يمكن أن يعاد تنظيمه ويعاد توزيع الثروة عليه

فنمط الإنتاج الرأسمالى يمكن استبداله بإنتاج أكثر تأثيرا لإشباع احتياجات الناس وسوف تتلاشى الطبقات القديمة (بيرتشال، 1994، صفحة 12) ، ولذلك لم يكن عبثا أن يرتبط التطور الخلاق للماركسية ارتباطاً لا ينفصم باسم قائد البروليتاريا الروسية والدولية "فلاديمير لينين" (1870-1924)

2.3 ليون تروتسكى

جادل "ليون تروتسكى" بشأن الآراء التى حاولت استبدال الفاعل الثورى " الطبقة العاملة " بالفلاحين وأشار "تروتسكى" فى هذا الصدد إلى " أن الفلاحين كطبقة غير قادرين على قيادة مثل هذا النضال رغم أنهم بالضرورة سيلعبون دوراً كبيراً فيها فظروف حياتهم تحتم عليهم أن يبحثوا عن حلول فردية بدلا من حلول جماعية، يمكن بالفعل كسب الفلاحين إلى الثورة ولكن فقط بواسطة قوة من خارج القرى يجب أن تأتى القيادة من طبقة مدنية ولا يمكن أن تكون هذه إلا الطبقة العاملة،" لذا جادل تروتسكى أن نجاح الثورة الوطنية ممكن فقط من خلال نضال يقوده عمال المدن وهذا يعنى أن الثورتين الاشتراكية والوطنية سيندمجان فى عملية واحدة .

ولقد أثبتت أحداث 1949 صحة كلام "تروتسكى" إلا النقطتين الأخيرتين وهما أهم أجزاء تحليله لأن تلك الأجزاء اعتمدت على الاعتقاد بأن الطبقة العاملة هى قوة ثورية وواعية فى كل الأوقات،إلا أن مذابح 1927 كسرت الروح الثورية فى مدن الصين رغم ذلك فإنه فى غياب الطبقة العاملة تبقى إمكانية حدوث ثورة أثبتت جزء من الانتلجنسيا المدنية قدرته على ملء فراغ القيادة بانيا حركة مسلحة جماهيرية من الفلاحين تحت سيطرته،وأصبحت الآن الثورة الدائمة التى تصورها "تروتسكى" بقيادة الطبقة العاملة المؤدية إلى الاشتراكية منحرفة فى طريق وطنى خالص (هور، 1995، الصفحات 10-11).

وقد انتقد "تروتسكى" مختلف مظاهر البيروقراطية وعدم الكفاءة فى الأجهزة العسكرية والاقتصادية للاتحاد السوفيتى والإفراط فى المركزية فى أجهزة الحزب البلشفى (Twiss, 2014, p. 15).

اهتم "تروتسكى" طوال حياته أكثر من أى من المفكرين الماركسيين العظام (باستثناء لينين بالمشاكل المباشرة التى تواجه الثوريين فى الحركة العمالية، باندلاع الثورة الروسية وانتصارها،إذ طور "تروتسكى" تحليله الخاص به (نظرية الثورة الدائمة) وفى سن صغيرة جدا أصبح "تروتسكى"أهم القادة البارزين فى الحزب الشيوعى والدولة الروسية وأهم قادة الحركة الشيوعية العالمية والموجه الأساسى للجيش الأحمر ومنذ عام 1923 قاد المعارضة للثورة المضادة الستالينية وقتل بأوامر من "ستالين" (هالاس، 1999، الصفحات 12-15).

وقد فصّل "تروتسكى" المفاهيم الرئيسية لنظرية الثورة الدائمة بناءً على خبرته الثورية الخصبة فى روسيا فى ثورات 1905، وثورتى فبراير وأكتوبر 1917 التىأطاحت بالرأسمالية وفرضت سلطة الطبقة العاملة فى مجتمع متخلف يحكمه النظام القيصرى ويغلب عليه الإنتاج الزراعى الإقطاعى، والسواد الأعظم من السكان محرومون من أى ملكية زراعية وطبقة عاملة صناعية صغيرة ولكنها تعادى الملكية وتمتاز بتركيزها فى تجمعات صناعية كبرى (نور، 2012، صفحة 26).

والحل الحاسم لكل من المسألة الزراعية، والمسألة القومية، والتحرر من القيود الامبريالية التى تعوق التقدم الاقتصادى، فسوف يتطلب ذلك تخطى حدود الملكية البرجوازية الخاصة ومصادرتها، الثورة الديمقراطية إذن ستنضج سريعاً لتغدو ثورة اشتراكية، ومن هذا المنظور تصبح الثورة دائمة (كليف، 2011، صفحة 6).

وقد ذهب "تروتسكى" هنا إلىأبعد من "لينين"، فقال إن البروليتاريا تنمو وتقوى مع نمو الرأسمالية، بهذا المعنى يكون تطور البروليتاريا فى اتجاه تحقيق ديكتاتوريتها، علىأن توقيت انتقال الحكم إلىأيدى الطبقة العاملة لا يعتمد بشكل مباشر على المستوى الذى بلغته قوى الإنتاج وإنما على العلاقات فى الصراع الطبقى وعلى الوضع العالمى وأخيراً على عوامل ذاتية كتقاليد الطبقة العاملة ومبادرتها واستعدادها للنضال (تروتسكي، 2001، صفحة 48)، وهذا لا يعنىأن العامل عليه أن ينتظر حتى تبلغ الرأسمالية مرحلتها الأخيرة كى ينتزع السلطة فى المجتمع بل على العكس كان مقتنعاً بأن العامل فى المجتمعات المتخلفة يستطيع الوصول إلى السلطة بشكل أسرع من الدول المتقدمة وكان يعتقد أن الموقف الخاص فى روسيا كان يسمح بأن تنتقل السلطة لأيدى العمال قبل أن يتاح لسياسيى البرجوازية الليبرالية أن يكشفوا عن كل مواهبهم فى الحكم (كوهان، 1979، صفحة 97).

ويمكننا أن نلخص العناصر الأساسية لنظرية الثورة الدائمة لـ " ليون تروتسكى" كالتالى:

1. لا يمكن أن تقدم البرجوازية فى البلدان المتأخرة أى حلول ثورية وديمقراطية للمشاكل التى تواجه بلدانها من سيطرة الإقطاع والاضطهاد الامبريالى، ولا يمكنها القضاء على الإقطاع ولا الأتوقراطية الحاكمة وإرساء نظام ديمقراطى، وبينما كانت البرجوازية طبقة ثورية فى البلدان الرأسمالية المتقدمة منذ قرن أو اثنين سبقا، كفت الآن عن أن تكون كذلك سواء فى البلدان المتقدمة أو المتأخرة اقتصادياً، وتحولت إلى قوى محافظة ترتمى فى أحضان الرجعية بمجرد أن تبدأ الموجة الثورية.

2. أما الدور الثورى الحاسم فلا يمكن أن تقوم به سوى البروليتاريا، حتى وإن كانت حديثة النشأة وصغيرة الحجم فى البلدان المتأخرة.
3. بالنسبة للفلاحين، فهم غير قادرين على تحقيق استقلالهم السياسى، لذلك سيتبعون القيادة الثورية للبروليتاريا الصناعية فى المدن.
4. استكمال الثورة الاشتراكية "فى إطار الحدود الوطنية، أمر غير معقول، وهكذا تصبح الثورة الاشتراكية ثورة دائمة بمنظور جديد وأوسع للكلمة، بحيث يمكن للثورة الإشتراكية أن تنجز مهامَ كاملة فقط مع انتصار المجتمع الجديد على كوكبنا، وإنه لمن ضيق الأفق والرجعية محاولة إنجاز "الاشتراكية فى بلد واحد".
5. وكنتيجة لكل ذلك، فسوف تقود الثورة فى البلدان المتأخرة لاضطرابات واسعة فى البلدان المتقدمة (كليف، 2011، صفحة 38).

وتمحور الخلاف بين "تروتسكى" و"لينين" حول الدور الذى يمكن أن يلعبه الفلاحون، فـ"لينين" كان يدعو إلى ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين فى حين ترك "تروتسكى" على العمال عبء تثوير المجتمع ومن خلال عملية التثوير هذه اشتق مصطلح الثورة الدائمة ويمكن للفلاحين أن ينضموا فقط إذا كانوا مخلصين لاتجاه العمال وقد أصبح لينين أميل إلى طريقة "تروتسكى" فى التفكير بعد الثورة الروسية وبرر هذا التعديل بمبدأ ضرورة المرونة التاكتيكية فقد أدرك أن معظم الفلاحين لا يتعاونون مع العمال ، لكنهم يتعاونون مع البرجوازية (كوهان، 1979، صفحة 99).
وأكد أيضا على ضرورة أن يكون الأفراد فاعلين للأحداث وليس منفعلين بها فقط، وأنه لكى ترتقى الطبقة العاملة إلى مرتبة ثقافية أعلى ينبغى عليها وبخاصة على طليعتها أن تراجع نمط حياتها وأن مهمة الثوريين لم تعد سياسية فقط بقدر ما هى ثقافية (تروتسكي، 1979، صفحة 24).

3.3 روزا لوكسمبرغ

وإلى جانب اسهامات "تروتسكى"و"لينين" جاءت "روزا لوكسمبرغ" لتمثل مدرسة ماركسية ثالثة فيما يتعلق بنوع الحزب الشيوعى ودوره وهىأقرب المدارس إلى ما قال به "ماركس".

ونقدت فكرة الحزب الطليعى لـ "لينين" على الرغم من أنها آمنت بالحزب وبالدور الذى يجب أن يلعبه، خاصة فى البلاد التى لم تمر بمرحلة التحول الرأسمالى، ولكنها كانت تعالج قضية الوعى الثورى والتنظيم من زاوية مغايرة لتلك التى انطلق منها "لينين"، إذجعل من الحزب الوسيلة الأساسية لتوفر الوعى الطبقى بينما كانت "روزا" تجد الوعى الطبقى فى نضال الجماهير اليومى الذى يجب على الحزب أن ينتبه إليه ويساعد على فهمه، وأوضحت أن وجهة نظر "لينين" هذه تنطوى على استخفاف بالطبقة

العاملة إن لم يكن احتقاراً لها ولقدراتها الخلاقة وأهدافها وكذلك عدم ثقة بجميع التطورات العفوية وبالعفوية نفسها، وانطلاقاً من هذا طالبت "روزا" بضرورة احترام الجماهير واحترام عفويتها وابداعها وحقها فى أن ترتكب ما ترتكب من أخطاء وأن تستفيد من تلك الأخطاء، والتى ترتكبها حركة ثورية حقيقية هىأكثر فائدة بلا حدود من أذكى اللجان المركزية المعصومة، وأجملت أفكارها فى هذا الصدد بقولها إنه "مادامت المعرفة النظرية باقية حكراً على حفنة من المثقفين فى الحزب ستكون الثورة معرضة لخطر أن تضل الطريق فقط عندما تأخذ الغالبية العظمى من العمال فى أيديها سلاح الاشتراكية العلمية الجاد والموثوق ستتحول كل التيارات الانتهازية إلى صفر" (الحسيني، 2005، صفحة 23).

ومن هنا فقد اعتبرت "روزا" الاعتماد على حركة الجماهير العاملة وقدراتها الخلاقة هى أحد أسس النظرية الماركسية، وأعربت فى كتاباتها المختلفة عن تخوفاتها من بقرطة الأحزاب الثورية وديكتاتوريتها إن لم تنظر لهذه القوة الجبارة بوصفها العنصر الأساسى فى عملية النضال، ولها الحق فى التجربة وخلق آليات عملها وخطط تحركاتها النضالية دون وصاية من المنظرين .

فالحزب يجب أن يلعب دوراً تعليمياً وقيادياً معاً، وناهضت المركزية المفرطة الخاصة بالحزب الثورى التى نادى بها "لينين" وطبقها هذا المبدأ، وبدلاً من ذلك تقوم على مبدأ الخضوع الأعمى من جانب كل قطاعات الحزب لقياداته إذ تتضمن عزل القيادة أو الحزب عن الحركة نفسها، وستؤدى تلك الآلية إلى تحول اللجنة المركزية للحزب إلى جهاز يملى على الحزب وبذلك يصبح الحزب هو الجهاز الذى يملى على الجماهير،وبالتالى ستكون اللجنة المركزية هى العنصر الوحيد الذى يفكر وسيتحول ما يتبقى من الحزب إلى مجرد أذرع منفذة، ولذلك آمنت "روزا" على نحو مغرق فى التفاؤل؛ بأن ضغط الجماهير الثورية يمكن أن يصحح أىأخطاء سياسية وقعت فيها قيادة الحزب ولعل إيمانها بالجماهير واقتناعها بالحاجة إلى الاتصال بهم والاستجابة لهم هو ما كلفها حياتها فى النهاية (كوهان، 1979، الصفحات 105-107).

لقد أدى نقد "روزا" لأفكار "لينين" المتعلقة بالمركزية وبسياساته تجاه الحزب الثورى إلى طرحها رؤى بديلة لتلك الأفكار التى ناهضتها، وبناء على ما تقدم شرعت "روزا" فى بلورة بعض المهمات التى يجب على قيادة الحزب القيام بها وخصوصاً فى فترة الإضرابات الجماهيرية، إذ أشارت إلى أنه من الأهمية بمكان أولًا تعيين دور النضال وتوحيد وجهته وتنظيم تاكتيك النضال السياسى فى كل مرحلة من مراحله بحيث يجد المجموع الكلى لقوى البروليتاريا التى انطلقت وأصبحت فعالية مقيدة فى

اتجاه الحزب، إن هذه المهمة هى تحديد تاكتيكات الإشتراكيين الديموقراطيين تحديداً حازماً، والتأكد من أن هذه التاكتيكات لا تسقط أبداً تحت المستوى الذى تتطلبه العلاقات الحقيقية للقوى بل ترتفع فوقه على الدوام، وهذا التوجيه يتحول من تلقاء نفسه إلى توجيه تقنى بدرجة ما،إن تاكتيكاً حازماً متناسقاً متطوراً من جانب الإشتراكيين الديموقراطيين يحقن الجماهير بإحساس من الأمن والطمأنينة والثقة بالنفس والرغبة فى القتال، بينما يُحدث تاكتيك ضعيف متذبذب يقوم على التقليل من قدرات البروليتاريا أثراً مشوشاً ومعقداً على الجماهير، ففى الحالة الأولى تنفجر الإضرابات الجماهيرية "من تلقاء ذاتها" وفى الوقت المناسب، بينما فى الحالة الثانية تكون الإضرابات غير فعالة وسط نداءات مباشرة توجهها الهيئة القيادية داعية إلى الإضرابولنا فى الثورة الروسية مثالاً بارزاً على الحالتين (لوكسمبرج، 1970، الصفحات 22-27).

وبنفس القدر من الاهتمام بالسياسات التنظيمية للحزب الطليعى ناقشت "روزا" أيضاً ظاهرة الإضرابات وأثرها فى نجاح الثورة ووصولها لأهدافها وكانت "روزا" تنظر إلى السمة الجديدة التى تبدت فى الثورة الروسية "الإضراب الجماهيرى التلقائى" ليس كتكتيك خاص يقتصر على الثورة الروسية بل كشكل عام من أشكال النضال يؤدىإلى الإسراع فى تفجير الثورة فى ألمانيا (الحسيني، 2005، صفحة 53).

وأشارت فى هذا المقام إلى أنه ينبغى على الاشتراكيين الديمقراطيين أن يتولوا القيادة السياسية فى خضم الفترة الثورية بدل أن يحاوروا فى الجانب التقنى للإضراب الجماهيرى، وأوضحت أن الإضراب العام ظاهرة شديدة التغير لدرجة تنعكس معها كل أطوار النضال السياسى والاقتصادى وكل مراحل وعوامل الثورة؛ ذلك أن تكيف الإضراب العام وفعاليته وعوامل نشوئه تتغير باستمرار، ويفتح فجأة آفاقاً جديدة وعريضة للثورة عندما تبدو الأمور وكأن الثورة قد وصلت طريقاً ضيقاً؛ إضرابات سياسية واقتصادية، إضرابات جماهيرية وإضرابات جزئية، إضرابات تظاهرية وإضرابات صدامية، إضرابات عامة فى فروع فردية من الصناعة وإضرابات عامة فى مدن معينة، نضالات سلمية من أجل الأجور ومذابح شوارع، قتال متاريس، كل هذه تسير الواحدة منها عبر الأخرى، إنه لخضم من الظواهر يتغير ويتحرك بلا انقطاع، وقانون حركة هذه الظواهر واضح؛ إنه لا يكمن فى الإضراب الجماهيرى ذاته ولا فى تفاصيله الفنية، بل فى النسب السياسية والاجتماعية لقوى الثورة (لوكسمبرج، 1970، صفحة 26).

كما أوضحت أن الإضراب العام فى روسيا لم يقم كوسيلة لتجنب النضال السياسى للطبقة العاملة، وعلى الأخص النضال البرلمانى، ولا

كوسيلة للقفز إلىالثورة الاجتماعية فجأة بانقلاب مسرحى، بل كوسيلة فى المقام الأول لخلق ظروف النضال السياسى اليومى وبخاصة البرلمانى لذا، إذا كانت الثورة الروسية تعلمنا شيئا، فإنها قبل كل شيء تعلمنا أن الإضراب العام لا يصطنع ولا يقرر عفواً ولا يحدث نتيجة الدعاية، بل هو تلك الظاهرة التاريخية التى تنجم بحتمية تاريخية عن ظروف اجتماعية فى لحظة معينة (لوكسمبرج، 1970، صفحة 7).

إن الإضراب الجماهيرى هو الشكل الطبيعى الأول لكل نضال ثورى عظيم تقوم به البروليتاريا، وكلما كان التناقض العدائى بين العمل ورأس المال أكثر تطورا كلما وجب أن تصبح الإضطرابات الجماهيرية أكثر فعالية وحدة، أمّا الشكل الرئيسى للثورات البرجوازية السابقة ألا وهو القتال عند المتاريس والصدام المباشر مع القوة المسلحة للدولة فليس فى ثورة اليوم إلاّ نقطة الأوج، ليس إلاّ لحظة فى عملية النضال البروليتارى الجماهيرى، (لوكسمبرج، 1970، صفحة 26) وبذلك فى هذا الشكل الجديد للثورة نصل إلى تمدين وتخفيف الصراع الطبقى الذى تنبأ به انتهازيو الاشتراكية الديمقراطية الألمانية – البرينشتاينيون والدافيديون...إلخ، صحيح أن هؤلاء رأوا أن تمدين وتخفيف الصراع الطبقى سيتقلص لينحصر تماماً فى نطاق برلمانى وسيذهب قتال الشوارع بكل بساطة أدراج الرياح، لكن التاريخ وجد الحل بطريقة أفضل وأدق وأكثر عمقاً فى حلول الإضرابات الجماهيرية الثورية،وهذه لا تحل بالطبع محل معارك الشوارع ولا تجعلها غير ضرورية ولكنها تقلصها لتصبح لحظة فى فترة طويلة من النضال السياسى وفىالوقت ذاته توحد ما بين الفترة الثورية وبين عمل ثقافى عظيم بأدق معنى لكلمة "ثقافى":رفع الطبقة العاملة كلها مادياً وفكرياً عبر "تمدين" الأشكال البربرية للاستغلال الرأسمالى.

هكذا يتبين لنا أن الإضراب الجماهيرى ليس نتاجاً روسياً مخصوصاً انبثق من الحكم المطلق بل شكلاً من أشكال الصراع الطبقى البروليتارى ينجم عن المرحلة الراهنة من التطور الرأسمالى والعلاقات الطبقية. ومن هذا المنظور تمثل الثورات البورجوازية الثلاث –الثورة الفرنسية الكبرى وثورة مارس الألمانية والثورة الروسية- سلسلة متصلة من التطور يظهر فيها مصير ونهاية القرن الرأسمالى، ففى الثورة الفرنسية الكبرى أعطت التناقضات الداخلية، التى لم تكن قد نضجت أبداً، مجالاً لفترة طويلة من النضالات العنيفة، تفجرت فيها دون معيق ودون تحفظ وبروح راديكالية شجاعة كل التناقضات التى نشأت ونضجت أولاً فى حرارة الثورة، وبعد قرن من ذلك جاءت الثورة البورجوازية الألمانية التى انفجرت فى منتصف التطور الرأسمالى فكانت أن أعاقها من الجانبين تناقض مصالح رأس المال

والعمل وتوازن القوة بينهما، لتسوى هذه الثورة بحل وسط بين الإقطاع والبورجوازية وضع حداً سريعاً لفترة قصيرة تاعسة انتهت بكلمات (لوكسمبرج، 1970، صفحة 22).

الثورة إذاً تبدأ بخلق الشروط الاجتماعية التى يمكن بها تحول النضال الاقتصادى إلى نضال سياسى والنضال السياسى إلى نضال اقتصادى، ذلك التحول الذى يجد تعبيره فيه الإضراب الجماهيرى وإذا كان الفكر المبتذل لا يرى العلاقة بين الإضراب الجماهيرى والثورة إلاّ فى الحوادث الدامية التى ينتهى بها الإضراب الجماهيرى، فإن نظرة أكثر عمقاً بقليل على الأحداث فى روسيا تبين رابطة مناقضة تماماً: لا ينتج الإضراب الجماهيرى الثورة فى الواقع، بل إن الثورة هى التى تنتج الإضراب الجماهيرى.

فقط فى فترة الثورة، عندما تتخلخل الأساسات والجدران الاجتماعية للمجتمع الطبقى وتتعرض إلى عملية دائمة من الاختلال، يستطيع أى عمل سياسى طبقى تقوم به البروليتاريا أن يوقظ فى ساعات معدودات قطاعات كاملة من الطبقة العاملة، لم تكن قد تأثرت حتى ذلك الحين، من حالتها السلبية، وسرعان ما يعبر هذا الأمر عن نفسه بالطبع على شكل نضال اقتصادى عاصف، فالعامل الذى يستيقظ فجأة بفعل الصدمة الكهربائية التى يصيبه بها العمل (لوكسمبرج، 1970، صفحة 25).

لقد اعتاد معارضو الإضراب الجماهيرى على إنكار أن دروس ومثل الثورة الروسية يمكن أن تكون معيارا لألمانيا وذلك أولاً وقبل كل ما عداه لأن روسيا يجب أن تقفز من الاستبداد الشرقى إلى النظام القانونى البرجوازى الحديث،ويقال إن المسافة الشكلية بين هذين النظامين السياسيين القديم منها والحديث تشكل تفسيراً كافياً لعنفوان وعنف الثورة فى روسيا أما فى ألمانيا فقد حصلنا منذ أمد على معظم أشكال وضمانات الدولة الدستورية، ويتبع من ذلك أن الانفجار العنيف للتناقضات العدائية الاجتماعية مستحيل هناالسياسى يقبض حالاً على السلاح الذى فى متناول يده ليقاتل ضد حالة العبودية الاقتصادية التى يعيشها.

وأشارت "روزا" فى هذا الصدد إلى "أن الفترة الأولى للثورة الروسية بكل ما تحويه من أحداث تعد أفضل مران للطبقة العاملة الألمانية والعالمية على المهام التى تقوم بها فى الوضع الراهن إذ إن أحداثها منذ بدايتها فى مارس وحتى ثورة أكتوبر تتطابق تماما فى الخطوط العامة لمسار التنمية مع تطور الثورة الإنجليزية العظيمة والثورة الفرنسية الكبرى، إن ذلك يعد بمثابة المسار النموذجى لتصفية حسابات عامة تقوم بها القوى الثورية المولودة فى رحم المجتمع البرجوازى، ويتحرك تطور الثورة فى خط تصاعدى من البدايات المعتدلة إلى تجذير للأهداف وفى خط

موازٍ من تحالف الطبقات والأحزاب إلى الحكم الأوحد للحزب الراديكالى (Luxemburg, 2002, p. 4).

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية
اسماعيل، ق .(1980) .أصول علم الاجتماع السياسى .الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
الحسيني، م .(2005) .قراءة في فكر روزا لوكسمبرغ .فلسطين: المركز الفلسطينى لقضايا السلام والديمقراطية.
الزوالي، ص .(2013) .أهمية ومضمون النضال النظرى .الحوار المتمدن.1 ,(4152)
الشماوى، ش .(2011) .علم الثورة البروليتارية العالمية .الحوار المتمدن.1 ,(3269)
بيرتشال، آ .(1994) .فلاديمير لينين النظرية والممارسة/ ترجمة محمود عبد المنعم .القاهرة: مركز الدراسات الاشتراكية.
تروتسكي، ل .(1979) .الثورة والحياه اليومية/ ترجمة عبودى .بيروت: دار الطليعة.
تروتسكي، ل .(2001) .نتائج وتوقعات: الثورة الدائمة/ ترجمة بشار ابو سمرا .القاهرة: مركز الدراسات الاشتراكية.
سيف_الدولة، ع .(1979) .نظرية الثورة العربية .عمان: دار المسيرة.
سييف، ف. ج .(1975) .أصول الفلسفة الماركسية/ ترجمة حمدى عبدالجواد .بيروت: دار الثقافة الحديثة.
عبدالرحمن، ع .(2006) .النظرية فى علم الاجتماع: النظرية الكلاسيكية .الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
كرازين، ي .(1975) .علم اجتماع الثورة (سوسيولوجيا الثورة) نظرة ماركسية/ ترجمة شوقي جلال .بيروت: دار الطليعة.
كليف، ت .(2011) .عصر الثورة الماركسية/ ترجمة أشرف عمر . القاهرة: مركز الدراسات الاشتراكية.
كوهان، أ .(1979) .. .مقدمة فى نظريات الثورة/ ترجمة فاروق عبدالقادر .بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
لوكسمبرج، ر .(1970) .الإضراب الجماهيرى والحزب السياسى والنقابات .بيروت: دار الطليعة.
لينين، ف .(1978) .ملاحظات فلسفية/ ترجمة إلياس شاهين، المجلد الرابع .مسكو: دار التقدم.

ماركس، ك.، & أنجلز، ف .(1848) .البيان الشيوعي .د. م. : د. ن.
ماركس، ك.، & أنجلز، ف) .د. ت .(.المختارات .مسكو: دار التقدم.
ماندل، أ .(1974) .مدخل إلى الاشتراكية العلمية/ ترجمة غسان ماجد، كمال داغر .بيروت: دار الطليعة.
مولينو، ج .(1995) .ما هو التراث الماركسى الحقيقى؟/ ترجمة مركز الدراسات الاشتراكية .القاهرة: مركز الدراسات الاشتراكية.
نور، أ .(2012) .الاشتراكية الثورية: التاريخ – النظرية-الممارسة . القاهرة: مركز الدراسات الاشتراكية.
هالاس، د .(1999) .ماركسية تروتسكي/ ترجمة مركز الدراسات الاشتراكية .القاهرة: مركز الدراسات الاشتراكية.
هور، ش .(1995) .الصين ثورة من؟ (1927-1925)/ ترجمة مركز الدراسات الاشتراكية .القاهرة: مركز الدراسات الاشتراكية.

المراجع باللغة الانجليزية

Luxemburg, R. (2002). *The price of freedom.* Berlin: Jorn Schutrumpf.

Olssen, M. (2004). Foucault and Marxism: rewriting the theory of historical materialism. *Policy Futures in Education, 2*(3-4), 454-482.

Twiss, T. M. (2014). *Trotsky and the problem of Soviet bureaucracy . (PhD.).* Brill: Faculty of Arts university of Pittsburgh.

Scientific Journal of Faculty of Arts 10 (1) 2021, 141-163
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

Theories of Revolution: An Analytical View

Samar El-Sayed Ahmed Awad [(1)] Ahmed Mohamad Hegazy [(2)]
[(1)] PhD. Student [(2)] Lecturer, Sociology Department, Faculty of Arts, Damietta University.

Abstract

In this study the researcher presented the importance of revolutionary theory and its role in directing the masses. We presented the general view from the commercial group that showed the revolutionary phenomenon, "the awareness of the masses of their position and of the injustice inflicted upon them". We also dealt with the issue of social, social inequality, inequality and the working class according to "Marx" digging the grave of capitalism, which is the cake relied upon to achieve social justice and eliminate class struggle.

We also appeared in the image that came after "Marx". and their attempt to refute the attempts here, to question the authenticity of the physical body of the Marxist day, and "Lenin" was played pivotal in the October 1917 Russian Revolution, "Lenin" clarifies "the building of a revolutionary organization and the existence of a revolutionary organization", the establishment of a revolutionary organization through the establishment of the party and the avant-garde and its role in developing the flying consciousness and revolutionizing society.

Keywords: Revolutionary theories, Marx, Marxist theory.

Article history:
Received: 6 February 2021
Received in revised form 13 February 2021
Accepted 3 March 2021